الفصل الأول

الموضوع والهدف والميدان

مقدمة : بلغ الاهتمام بعلم النفس عبر الحضاري Cross Cultural psycholo حدوداً واسعة تمثلت في ظهور العديد من المجلات التي تهتم بنشر البحوث الخاصة به ، كمجلة علم النفس الدولي (١٩٦٦) The international journal of psychology ، ومجلة علم النفس الإجتماعي ، ومجلة علم النفس عبر الحضاري The journal of cross cultural psycholo.(JCCP) ، كذلك توجد مجلة «رسالة الأخبار» Newsletter والتي ظهرت عام ١٩٦٧ وتختص ايضاً بنشر الدراسات عبر الحضارية ، كما تم نشر دليل الأعضاء في علم النفس عبر الحضاري بواسطة «بري» Berry في ١٩٦٩ في مجلة علم النفس الدولي ، وروجع هذا الدليل وظهر في كتيب عام ١٩٧٠ بواسطة كل من «بري ولونر» Berry&Lonner ، وبواسطة «بري ولونر ولروكس» Leroux في ١٩٧٣ . وتوجد ايضاً الجمعية الدولية لعلم النفس عبر الحضاري والتي عقدت مؤتمراً في هونج كونج عام ١٩٧٢ ، وفي كنجستون بكندا عام ١٩٧٤ ، وبهولندا عام ١٩٧٦ ، وفي ميونيخ بألمانيا الغربية عام ١٩٧٨ ، وفي تركيا عام ١٩٨٦ ويبلغ أعضاء الجمعية ٣٥٠ ثلاثمائة وخمسين باحثاً من خمسين دولة ، وبالرغم من أن علم النفس قد انتشر انتشاراً واسعاً في كل بلاد الدنيا ، إلا أن

الاهتمام بجمع البيانات المقارنة Comparable data عن الحضارات المختلفة يعتبر شيئاً جديداً نسبياً، لكنه امتد واتسع بعد منتصف عام ١٩٦٠ ليشمل عدداً من المنظمات الدولية الإقليمية، كجماعة علم النفس الأمريكي، وجماعة علم النفس في منطقة البحر الأبيض المتوسط والتي اتسع نشاطها في هذا الموضوع خلال العشرين عاماً الأخيرة.

ومن الجهات المهتمة ببحوث علم النفس عبر الحضاري نجد في استراليا باحثين في معهد التكنولوجيا، وفي جامعة جيمس كوك، وجامعة فلندرز، وتجد في أندونيسيا مدرسة ملهالا العليا، وفي اليابان جامعة طوكيو وجامعة صوفيا، وفي باكستان جامعة كراتشي وجامعة السند، وفي الفلبين تهتم أقسام التربية بهذه الدراسات، وفي تايلاند جامعة شينجميا، وفي الولايات المتحدة جامعة لود هام بنيويورك، وجامعة هاواي، وجامعة ساركيوز، وجامعة الاسكا، وفي افريقيا جامعة ليبريا بمنروفيا، وجامعة ليجوس بنيجريا، وجامعة كيتون بجنوب أفريقيا، وجامعة زامبيا بلوساكا في زامبيا، وفي منطقة البحر المتوسط جامعة بارايلان بإسرائيل، والجامعة الأمريكية ببيروت، وفي جنوب آسيا كلية لهدي أرفن بنيودلهي بالهند، وجامعة هونج كونج، وجامعة كوالالمبور بماليزيا (٩٩).

مجلة علم النفس عبر الحضاري[٩]: ومما يستحق الذكر الإشارة للمجلة التي حملت لواء نشر البحوث والدراسات عبر الحضارية. والتي تعتبر بحق بمثابة «نشرة أخبار موسعة» لهذا العلم.

ويمثل هيئة تحرير المجلة مختصون من الجامعات المختلفة في كل القارات بأمريكا وأوربا وافريقيا. ويتم نشر المجلة من خلال قسم علم النفس بجامعة هرب واشنجتون وبمساهمة ومساعدة الجمعية الدولية لعلم النفس عبر الحضاري. وتهتم المجلة بنشر البحوث الميدانية التي تختص بكيف؟. ولماذا؟ أو بكلاهما، تختلف الظاهرة النفسية وفقاً للتشريطات

---

(٩) Journal of cross cultural psychology

LovePDFTULIP LAIBRAR

الحضارية والعوامل البيئية ، كما تهتم بالموضوعات التي تتعلق بالثقافات(*) الفرعية داخل أي بلد من البلدان والتي لا بد من أن تكون مقارنة بجماعات حضارية . وتنشر موضوعات بحوث المجلة بمجلة الملخصات النفسية Psychological Abstracts تحت العديد من الموضوعات منها : ملخصات الأنثربولوجي ، ملخصات الدراسات الحضارية ، ملخصات اللغة والسلوك اللغوي. وبمناسبة مرور عشر سنوات على ظهور أول عدد من المجلة (JCCP) في سبتمبر ١٩٦٩ كتب لونر Walter J. Lonner في العدد الأول مارس ١٩٨٠ قائلاً : كانت الكتب والدوريات قبل عام ١٩٧٠ في الموضوع قليلة ، وكان السيكولوجيون الذين يبحثون في الميدان يتخذون من المصادر الأنثربولوجية موجهاً لبحوثهم ، وبعد ذلك ظهر الكثير من الكتب ، ومنها الكتاب المدرسي الذي ظهر في ستة مجلدات عن علم النفس عبر الحضاري لتراينديس Harry Triandis وكتاب قراءات لمارسلا Marsella وآخرين (١٩٧٩) ، وغير ذلك من الكتب لدرجة أن سيجال Segall (١٩٧٩) أشار إلى أنه من الصعب التنبؤ بأن هذا المستوى من الإنتاج سيتكرر مرة ثانية ، إذ أن هذه الكتب المتعددة ، كما نشر في مئات المراجع كل شيء عن علم النفس عبر الحضاري في الفترة الأخيرة.

وقد شارك ٦٦٢ ستمائة واثنان وستون باحثاً في عمل ٣٤٧ مقالة بالمجلة وهم من افريقيا (نيجيريا - جنوب افريقيا - أوغندا - وزامبيا) ، ودول البحر الأبيض المتوسط (يوغوسلافيا والدانمرك ومصر وإنجلترا والمانيا وفرنسا . . .) ، وآسيا (هونج كونج - الهند - إيران - اليابان . . .) ، وأمريكا الجنوبية (البرازيل ، والأورجواي) .

وقد تضمنت عينات هذه الدراسات جماعات من جنوب افريقيا البيض والسود ، ووسط وشرق أفريقيا البيض والسود ، وجماعات من العرب ، والعرب داخل إسرائيل والإسرائيليين ، وجنوب وشمال اوربا والمملكة المتحدة ، والصين والهند وباكستان ، واليابان وكوريا ، واستراليا ،

(*) نستخدم هنا حضارة وثقافة بمعنى واحد.

LovePDFTULIP LAIBRAR

ونيوزيلندا والفلبين واندونيسيا، وأمريكا الشمالية، وتضمنت الدراسات فيها البيض، والبيض في كندا، والأمريكيين الآسيويين، والأمريكيين السود والمكسيكيين الريفيين والحضريين.

وأما الموضوعات التي اهتمت بنشرها المجلة في الفترة من ١٩٦٩ - ١٩٧٩ فقد كانت تدور حول:

١ - التحضر والتنشئة، والتوافق للتغير الإجتماعي، ودراسات الهجرة.

٢ - الجانب المعرفي، كالعلاقة بين الثقافة والتفكير والذاكرة وحل المشكلات.

٣ - الإدراك سواء علاقته بالأشكال أو الزمن.

٤ - النمو بشكل عام، التنشئة، النمو الحركي، دراسات بياجيه.

٥ - التعليم، اتجاهات المدرسين وتعليمهم والابتكار وأداء الفصل، والانجاز.

٦ - الصناعي والإداري والتنظيمي وإدارة الأعمال.

٧ - المشكلات المنهجية والحلول المقترحة لها.

٨ - الشخصية بوجه عام، دراسة الأعلام، الطابع القومي، القياس وتقنين الاختبارات، والحاجات، وقياس النواحي الإسقاطية.

٩ - الفسيولوجيا ودراسة النواحي النشوئية للسلوك وتأثير المرض.

١٠ - السياسة.

١١ - اللغة والنمو بوجه عام والازدواج اللغوي، واللغويات النفسية المقارنة.

١٢ - القياس النفسي وتقديرات الذكاء والقدرات.

١٣ - علم النفس المرضي، وأسباب الاضطرابات.

١٤ - العلاج النفسي والإرشاد.

LovePDFTULIP LAIBRAR

١٥ ـ الإجتماعي، الدور والقيم والاتجاهات والعدوان والانتماء، والتنافس والتعاون، والقيادة، والمسايرة وبحوث تنظيم الأسرة والمشكلات السكانية والعزو (١٨٢).

أما المتأمل للبحوث المنشورة في المجلة في أواخر الثمانينات عندما كان مالباس .Malpass Roy S رئيساً لتحريرها فيجد أن موضوعات المجلة في أعداد عام ١٩٨٦ كالآتي:

١ ـ دراسة حضارية مقارنة باستخدام استبيان أيزنك للشخصية.

٢ ـ عادات النوم لدى المسنين من ثلاث حضارات (٢١٦).

٣ ـ الطرائق عبر الحضارية لدراسة اتخاذ القرار السلوكي.

٤ ـ العلاقة بين تقدير الذات والسلوك الجانح في ثلاث جماعات، عرقية (٢١٧).

٥ ـ القيم لدى الأطفال الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين والكنديين.

٦ ـ الصدق عبر الحضاري لاستبيان .Bem S لدور الجنس (٢١٨).

وفي أعداد عام ١٩٨٧ حيث رأس دراجونز .Druguns Juris G تحرير المجلة كانت البحوث الآتية:

١ ـ فهم الصينيين والبحث عن أبعاد لا تتأثر بالحضارة.
٢ ـ الضغوط الجامعية دراسة مقارنة بين إسرائيل وأمريكا.
٣ ـ دراسة عبر حضارية لرسوم الأطفال (٢١٩).

موضوع علم النفس عبر الحضاري ومجالاته

يهتم علم النفس عبر الحضاري بالدراسة المنظمة للخبرة والسلوك اللذين يحدثان في حضارات مختلفة، ويتأثران بتلك الحضارات، ويصدران من خلال التغيرات الحضارية القائمة. وكلمة الحضارة Culture واحد من تلك الأفكار التي ما زالت حتى الآن تشغل المفكرين الإجتماعيين، والتي تعرف بطرق مختلفة حتى أنه لم يستقر بعد على تحديد لمفهومها. ففي

LovePDFTULIP LAIBRAR

الأنثربولوجيا يشير مفهوم الحضارة للأنشطة الكلية الخاصة بفترة ما وبجماعة إنسانية معينة والتي تتضمن ما تقوم به من زراعة وحرف صناعية، واقتصاد وموسيقى وفن، ومعتقدات دينية وتقاليد ولغة.

وقد أكد كثير من الكتاب على جوانب مختلفة من مكونات المفهوم السابق. فقام كل من كروبر Kroeber وكلكهومن Kluckhohn (١٩٥٢) بعمل مسح لتعريف مفهوم الحضارة عبر المائة والخمسين عاماً الماضية وأشارا لأوجه الاختلاف فيها ثم قاما بوضع التعريف الآتي لمفهوم الحضارة:

«تتضمن الحضارة تلك الأنماط الضمنية والصريحة الخاصة بالسلوك المكتسب، والمنقول بواسطة الرموز، والذي يشكل الإنجاز المميز للجماعات البشرية كالأعمال الحرفية، والتقاليد والتي تمثل المحور الأساسي للثقافة والأفكار والقيم، وقد تعتبر الأنساق القيمية من ناحية كمنتجات للفعل، ومن ناحية ثانية عناصر شرطية لأفعال أخرى»، ونظراً لطول التعريف السابق فقد اقترح هيرسكوفتش Herskovits (١٩٤٨) تعريفاً، مختصراً للحضارة هو: «الحضارة هي ذلك الجزء الذي صنعه الإنسان من البيئة البشرية».

والتعريف بصورته تلك يتضمن كلاً من النواحي الطبيعية كالطرق والمباني والأدوات، والتي تشكل الثقافة الفيزيقية Physical culture، كما يتضمن الاستجابات الذاتية عما يقوم به الإنسان من أدوار وما لديه من فهم واتجاهات ومعتقدات، والتي تشكل الحضارة الذاتية Subjective culture وتتداخل كل من نواحي الحضارة الطبيعية والذاتية في بعضها البعض، فالأبنية والقوانين والأدوات والفهم والاتجاهات عادة ما تكون مترابطة بشكل معقد.

ويشير مفهوم عبر حضاري Cross-culture للمقارنات التي تجري بين الحضارات، وهذا بالتالي يثير في الذهن سؤالاً يختص بما هي تلك النواحي أو الوحدات Units التي تقوم المقارنة حولها؟. ويستخدم نارول

LovePDFTULIP LAIBRAR

Naroll (١٩٧٠) في هذا الصدد مفهوم وحدات الحضارة Cultunit والتي يقصد بها «الناس الناطقون باللسان المحلي Domestic speakers وباللغة الأم Dialect language ، والذين ينتمون لنفس الدولة أو لنفس الجماعة» . وعلى هذا الأساس فإن كثيراً من المتخصصين يقارنون بين تلك الوحدات الحضارية ، وآخرون يقارنون بين وحدات أكبر تتضمن القوميات .

ويعتمد تحديد مفهوم وحدة الحضارة Cultunit على الوقت ، والمكان ، واللغة . ويعتبر الوقت Time محدداً لذلك المفهوم لأننا عادة ما نهتم بفترة تاريخية خاصة ، والمكان Place وذلك لأنه يتم التأكيد على الاتصالات بين الأفراد أو على النظام السياسي واللغة Language .

أهداف علم النفس عبر الحضاري : يمكن أن تتحدد أهداف علم النفس عبر الحضاري بصورة عامة في النواحي الآتية :

١ - يتمثل الهدف الأساسي من علم النفس عبر الحضاري في اختبار عمومية القوانين السيكلوجية ، وفي هذا الصدد قامت مجهودات كبيرة تضمنت العديد من المحاولات لمعرفة ما هي الجوانب العالمية في نظرية جان بياجيه مثلاً ، وأيها يتعدل بالمتغيرات الحضارية ، وأيها يصدق على أبناء سويسرا . وقد أشارت البيانات التي تم جمعها أن فترات النمو التي صورها بياجيه Piaget موجودة في كل الثقافات ، وفي ثقافات معينة تظهر مراحل النمو في فترات لا تسير وفق نظام ثابت Invariant order ، فعلى سبيل المثال فإن الألفة بمواد خاصة من شأنها إكساب خبرة ما فإنها ستؤدي إلى استجابات ثابتة في وقت مبكر ، وهكذا فإن الأطفال الذين يتعرضون لهذه المواد سوف يصلون للمرحلة الإجرائية Operational period عند بياجيه ، في حين أن الأطفال الذين يحرمون من هذه الخبرات قد لا تظهر لديهم علامات تدل على وصولهم لهذا المستوى المعرفي . وباختصار فإن الدراسات عبر الحضارية تكشف عن كل من النواحي العامة ، والنواحي الخاصة في الحضارة .

٢ - إن المتغيرات الموجودة في كل حضارة تكون ممتزجة

LovePDFTULIP LAIBRAR

Confounded ببعضها البعض ، لكنه ليس امتزاجاً كاملاً ، ويتضح ذلك في وجود حالات شاذة . فإذا كان المتغيران ا ، ب يرتبطان ببعضهما ارتباطاً موجباً وعالياً ، فمع ذلك نجد أن هناك حالات (وحدات حضارية) قليلة تكون عالية في ا ، ومنخفضة في ب ، وحالات قليلة منخفضة في ا ، ومرتفعة في ب . فإذا درسنا الوحدات الحضارية (الحالات) الشاذة فإننا نستطيع أن نحدد أي العلاقات بين المتغير المستقل(ج) والمتغيرين المعتمدين (ا ، ب) يكون سببه ا ، ب وسببه ب ، أو سببه الاثنان معاً ا ، ب . وتلك المعلومات الأخيرة ذات قيمة كبيرة في علم النفس عبر الحضاري ، فعندما يشير فرويد Freud إلى أن عقدة أوديب Oedipus complex عالمية ، فإنه بذلك قد لفت النظر للعلاقة الجنسية بين الآباء وزوجاتهم ، ولم يشر إلى أن الآباء في فيينا عام ١٩٠٠ كانوا صارمين في تأديب أبنائهم وغالباً ما كانوا يعاقبونهم . وعندما وجد مالينوسكي Malinowski في دراساته على البدائيين من التروبريانديرز (Trobrianders) أن لديهم أشكالاً مختلفة من التنظيمات الاجتماعية فإنه يعني بذلك أن عقدة أوديب عبر متغيرات الزمان Time والمكان Place ، واللغة Language ليست عالمية . وهذا يفتح الباب على مصراعيه لإعادة النظر في الظواهر التي لاحظها فرويد مثل الحسد .

٣ ـ تمدنا الوحدات الحضارية Cultunit بتجارب شبه طبيعية Natural qugal-experiments ، وذلك باخضاع المتغيرات للبحث والدراسة ، فعندما تكون بعض وحدات الحضارة مرتبطة بالزراعة والبعض الآخر بصيد السمك ، فإن التنظيمات الإجتماعية الخاصة بهما تختلف . فالأطفال الذين تكون تنشئتهم وفق درجات مختلفة من الشدة ، تنمو لديهم نماذج مختلفة من الادراك حسب تأكيد الحضارة على الزراعة أو صيد السمك .

٤ ـ تشكل الحضارات المستقرة الوظائف السيكلوجية للأفراد . أما الحضارات التي لا يكون التنبؤ بالأحداث فيها عالياً بسبب الحروب المتكررة ، والثورات ، والانقلابات والزلازل ، والفياضانات فإن التخطيط يكون اقل احتمالاً في أن يؤدي إلى التنمية . إذ أن الناس في هذه الحضارات

LovePDFTULIP LAIBRAR

يكون الاحتمال أقل في نظرتهم للتخطيط كقيمة ، أو في مساندة بعضهم البعض من أجل التخطيط، ويرجع ذلك ببساطة إلى أن الناس لا يعززون السلوك غير المشاب . فحيث أن البراكين والثورات والفيضانات تقلب الخطط رأساً على عقب ، فبالتالي فإن الناس لا يهتمون بالتخطيط. وإن الدراسة العالمية المتكاملة لسلوك الإنسان هي التي تحاول الربط بين خصائص البيئة Ecology وخصائص الإنسان . وتساعدنا الدراسات عبر الحضارية في تعلم كيف ترتبط المتغيرات البيئية بالمتغيرات النفسية .

٥ ـ إنه من المهم معرفة التكرار الخاص بالسلوك والأحداث لدى مجموعات مختلفة من السكان . فعلى سبيل المثال إذا وجدنا أن العدوان Aggression موجود في كل الحضارات ، فإننا نعلق على ذلك بأن هناك شيئاً ما إتساقي أساساً لا يتغير بالنسبة لهذا السلوك . أما إذا وجدنا أن هناك حضارات لا يلاحظ فيها العدوان إطلاقاً فإن ذلك لا يتسق مع التعليق السابق ويفسر ذلك بالعوامل الحضارية .

نواحي الاختلاف بين الحضارات

جمع موردوك Murdock ، وبروفوست Provost (١٩٧٣) بيانات عن ١٨٦ مجتمعاً لمراجعة تحليل كارنيرو Carneiro (١٩٧٠) الخاص بتحديد الفروق الحضارية فاستخدموا عشرة موازين Scales لترتيب وتقدير كل مجتمع على أساسها وهي :

١ ـ الكتابة والسجلات : Writing and records حيث تعطى الدرجة العليا عند وجود نظام داخلي للكتابة ، ودرجة صفر عندما لا يوجد سجل عن هذا النظام .

٢ ـ الإقامة المستقرة : Fixity of residence حيث الإقامة الدائمة المستقرة (عالي) يقابلها الوجود البدوي Nomad (منخفض) .

٣ ـ الزراعة : Agriculture حيث التأكيد على الاسهام النسبي للزراعة في مد الحضارة بالطعام .

LovePDFTULIP LAIBRAR

٤ ـ الحضر: Urbanism حيث يكون التركيز على حجم المستوطنات Settlements .

٥ ـ التخصص الفني: Technical Specialisation ويقصد به عدد الحرف والمهارات والصناعات المختلفة.

٦ ـ النقل البري: Land transport حيث يتم التركيز ايضاً على الوسائل الآلية في مقابل الوسائل الإنسانية في النقل.

٧ ـ النقود: Money ويتم التركيز على السيولة النقدية في الداخل في مقابل المقايضة Barter .

٨ ـ الكثافة السكانية: Population density

٩ ـ مستوى التكامل السياسي: Level of political integration.

١٠ ـ درجة الطبقية الإجتماعية: Degree of social stratification.

وبعد ترتيب المائة وستة وثمانين مجتمعاً وفقاً لهذه المقاييس وجد الباحثان أن هناك تداخلاً بين هذه المقاييس. وقد أمكن تمييز أي مجتمع بموقعه على هذه المقاييس بما فيها من تداخل وترابط.

ميدان علم النفس عبر الحضاري

إنه من الصعب رسم حدود لميدان علم النفس عبر الحضاري، لتغير التأكيد على ذلك عبر مرور الأيام والسنين، فنجد في فترة ما طرائق جديدة تظهر وتنمو، وفي فترة أخرى تبرز موضوعات أخرى جديدة من البحوث لتصبح هي الغالبة.

وإضافة لذلك فإن النظريات التي يستند إليها علم النفس عبر الحضاري في بناه أسسه قليلة العدد، وبسبب ذلك فقد استخدمت الكثير من الأطر النظرية لتنظيم وتحليل المعلومات التي تم جمعها من شتى الموادين، كما استخدمت الكثير من نظريات علم النفس لنفس الغرض. وعلى الرغم من ذلك فإن لعلم النفس عبر الحضاري طرائق بحث خاصة به، ولهذا السبب

LovePDFTULIP LAIBRAR

فإنه يعرف من خلال المنهجية العلمية الخاصة به وليس من خلال النظرية التي يتبناها . ومن المعروف منذ الخمسة عشر عاماً الأخيرة او أكثر (منذ عام ١٩٦٥ حتى بداية هذه الفكرة ١٩٨٠) أن باحثاً ما لا يستطيع أن يستخدم طريقة من طرق البحث السيكلوجي في حضارة أخرى دون إجراء تعديل واسع متعمق عليها .

ويتركز أهم جانب من جوانب تلك المنهجية Methodology في التمييز بين الأبعاد العالمية Universal dimension الخاصة بوصف الظاهرة والتي تسمى Etic (جزء مأخوذ من المقطع الأخير لكلمة Phonetic أي صوتي وهو المتعلق بالأصوات الكلامية المنطوقة والتي تتكون عند المتحدث من منطقة الجهاز الصوتي وما يشمله من الوترين واللسان والشفتين ، وبالطبع هذه الأشياء عالمية لدى كل إنسان في الدنيا) وبين الأبعاد المتعلقة بالحضارة والخاصة بذلك الوصف والتي تسمى Emic (جزء مأخوذ من المقطع الأخير لكلمة Phonemic أي وحدة كلامية صغرى والتي تساعد على تمييز نطق لفظة ما عن نطق لفظة أخرى في لغة أو لهجة فمثلاً Fin. Pin فونوميتان أي وحدتان مختلفتان ، وبالطبع هذه الأشياء تختلف من ثقافة لأخرى مثل : سائر ، صائر في اللغة العربية) .

ويمكن التمييز بين مكونات كل ما هو عالمي Etic ، وكل ما هو خاص بالحضارة Emic مثلما يتم التمييز بين المقاييس العالمية Etic measurment ، والمقاييس الخاصة بالحضارة Emic Measurment . فمقياس البعد الإجتماعي Socinl distance (بوجاردس Bogardus ، ١٩٢٨) ذا مكون عالمي Etic construct لأنه يمكن استخدامه في القياس على المستوى العالمي Etically ، وعلى المستوى الخاص بالحضارة Emically . ومن ناحية أخرى فإننا نجد أن مفهوم الفيلوتيمو Philotimo يعتبر مكوناً خاصاً بالحضارة وينطبق فقط على اليونان . وهذا المفهوم يشير إلى أي مدى يتطابق الفرد مع التوقعات داخل جماعته ، وهو عبارة عن بعد ملحوظ بين اليونانيين ، ويعرف بوجه خاص داخل تلك الحضارة . ويعتبر قياس البعد الإجتماعي بعد

LovePDFTULIP LAIBRAR

التحديد التام للمفهوم بواسطة أسئلة مناسبة لكل الحضارات قياساً عالمياً Etic لذلك البعد أما قياسه في حضارة واحدة فقط كما فعل بوجاردس فإن هذا يعتبر خاصاً بالحضارة Emic الواحدة .

وتعتبر هاتان الصورتان من القياس مناسبتين ، أما القياس غير المناسب فيتمثل هنا في أخذ مقياس خاص بالحضارة Emic واستخدامه كما لو كان مقياساً عالمياً Etic . ولقد كان هذا الأمر الأخير شائعاً لكنه تغير في الخمسة عشر عاماً الأخيرة (منذ عام ١٩٦٥) .

ورغماً من ذلك التقدم الذي حدث ، فإنه يوجد تقدم أخر تمثل في قيام الأخصائيين النفسيين بعمل مثالي ليس فقط لأنهم سيعدون مقاييس عالمية Etic باستخدام أسئلة ووحدات خاصة بحضارة ما Emic ، بل لقيامهم بإجراء الصدق عليها بطرق متعددة . وطريقة الصدق المناسبة هي طريقة صدق التكوين Construct Validity والذي يعني أنه من خلال أساس نظري معين يكتشف الأخصائيون كل شبكة العلاقات القائمة في مضمون الأسئلة . فمثلاً من المعروف في حالة مقياس البعد الاجتماعي فإن البعد الاجتماعي يكون مرتبطاً بسلوك التجنب Avoidunce behavior (تجنب عدم الزواج من شعب معين ، وعدم إقامة صداقة مع أبناء شعب آخر ، وعدم الإقامة في مسكن بجوار أبناء شعب ثالث ، . . . إلخ) . وسلوك التجنب هذا يلاحظ بدون تدخل في المواقف الطبيعية . ومن الممكن توقع أن يكون البعد الإجتماعي مرتبطاً ايضاً بتعميمات لفظية Stereotypes تختص بالجماعات موضع الدراسة وبمدى الجاذبية نحو هذه الجماعات ، وإن الاتساق بين النتائج التي يتم الحصول عليها وبين التوقعات النظرية سوف يقوي الثقة في صدق مقاييس البعد الإجتماعي .

ومع هذا فإنه لسوء الحظ ما زالت هناك فجوة بين هذا البرنامج المثالي الخاص بالصدق وبين ما يقوم به المتخصصون في علم النفس عبر الحضاري ، خصوصاً في حالة قياس القدرات العقلية .

LovePDFTULIP LAIBRAR

ويجب الأخذ في الاعتبار عند محاولة تغيير المعنى في تلك الطرق عبر الحضارات أن الاعتماد على طريقة واحدة للكشف عن الفروق الحضارية يكون غير سليم من الناحية المنهجية. إذ أن الذي سيبدو أنه فروق حضارية أي فروق سببها الحضارة قد يكون نتيجة لمواقف الاستجابة المختلفة وعملية التهيؤ لها، كالفروق في الألفة مع المنبهات، والفروق في تعريف مواقف الاختبار، وردود الفعل الفارقية للمجرب، والفروق في الدوافع للاستجابة لذلك الاختبار، والفروق في التقبل الاجتماعي للاستجابات، ومشكلات التفسير. وهكذا يتضح أن أي فرق لا يمكن تفسيرة (١٠٠).

علاقة علم النفس عبر الحضاري بالميادين الأخرى: في مجال المقارنات الحضارية بدأت الخطوط والحدود القائمة بين الأنظمة في التلاشي والانتهاء خاصة في مجالي الأنثربولوجيا وعلم النفس. ومن الأنثربولوجيين الذين ساروا في هذا الاتجاه نجد هالويل، وكلاكهوهن A.I.Hallowell & Clyde Kluckhohn حيث شدت أعمالهما الانتباه لأنهما كتبا في علم النفس مثلما كتبا في ميدان تخصصهما وهو الأنثربولوجيا. وقد كتب كلاكهوهن فصلاً عن «الحضارة والسلوك» في الطبعة الأولى من كتاب علم النفس الإجتماعي Handbook of social psychology والذي نشر عام ١٩٥٤ تحت إشراف جاردنر لندزي Gardner Lindzey، وتضمن هذا الفصل الاختلافات في السلوك البيولوجي، وفي الشهية للطعام، والحصول عليه حيث الكل يخضع للضبط الحضاري، كذلك الأمر بالنسبة لنماذج السلوك الجنسي حيث وجد أن الجنسية المثلية عالمية في بعض المجتمعات لكن نادرة أو غير معروفة في أخرى. كما وجد في نواح سلوكية أخرى كالنماذج الحركية، والإيماءات وطرق المشي والجلوس، وإدراك الألوان، وإدراك الفراغ، أن اللغة لعبت فيها جميعاً بدور هام وكذلك الأمر بالنسبة للذاكرة والمعرفة، والعلاقات المؤثرة، والتعبيرات الانفعالية، والعمليات اللاشعورية، والأحلام، وعلم النفسي المرضي، والقيم، وتدريب الطفل، ونواح أخرى متعددة من السلوك. وقد كتب هالويل عدداً من المقالات التي تناولت مشكلات في الصحة النفسية، والإدراك،

LovePDFTULIP LAIBRAR

واستخدام الطرق الإسقاطية في دراسة مشكلات التحضر Acculturation أو التغير الاجتماعي (١٩٥٠ ، ١٩٥١).

ويقول كلينبرج Otto Klineberg أن كتابي في «علم النفس الإجتماعي» والذي يعتبر أول كتاب يعتمد أساساً على وجهة النظر عبر الحضارية المقارنة، بسبب اتصالي ببواز Boas ، وسابير Sapir ، وبندكت Bendict وميد Mead ، وغيرهم من الأنثربولوجيين، إضافة لبعض الكتابات التي ناقشت قائمة «الغرائز» عند الإنسان.

وكان السؤال المطروح حينئذ هو كيف يتم ذلك دون معرفة بالسلوك في بعض المجتمعات والحضارات الأخرى؟

وقد وجد بعد ذلك أن نظرية الغرائز لدى مكدوجل(١٩٠٨) ليست عامة عند كل البشر كغريزة التملك وغريزة العدوان.

ولم تقتصر الدراسات المقارنة على تناول قضية الغرائز فقط بل شملت كثيراً من الأنشطة النفسية، لقد أوضح السيكلوجي الفرنسي دوماس Dumas (١٩٢٣) إلى أي أحد يمثل التعبير الانفعالي لغة، أي أنه شكل من أشكال الاتصال مع الآخرين أكثر من مجرد انعكاس لحالة داخلية فقط، ولقد أيدت ملاحظات الأنثربولوجيين ذلك. كما حاول كلينبرج أن يكتشف لغة في التعبيرات الانفعالية لدى الصينيين، فالتعميم السائد عنهم أنهم ولغز Inscrutable أي غامضين، فهل هذا يرجع إلى أنهم يعبرون عن انفعالاتهم تعبيراً مختلفاً، أم أنهم أقل تعبيراً عنها؟. وقد أشارت النتائج غير الكاملة أن كلاً من ذلك صحيح جزئياً، فدائماً تكون التعبيرات الانفعالية في الصين وفي الغرب متشابهة. وقد أوضح دوركايم Durkheim أن ظاهرة الانتحار تخضع لعوامل اجتماعية وحضارية. وقد طرح مالينوسكي Malinowski (١٩٢٧) سؤالاً عن الأنماط الحضارية في الإدراك البصري بين التروبرياندرز Trobrianders والذين يرون التشابه بين الرجل وأبيه، وليس بين أمه، والذين يصرون على أن الأخوين لا يمكن أن يشبها بعضهما البعض.

LovePDFTULIP LAIBRAR

وتؤكد كل هذه الأمثلة ضرورة النظر لعلم النفس الإجتماعي من خلال وجهة النظر المقارنة . وبالنسبة لطرق البحث فإن هناك القليل من إنجازات السيكولوجيين في ذلك المجال ، ما عدا بعض الاستثناءات ، لكن معظم الإنجازات قام بها الأنثربولوجيون فبحكم معرفتهم بالحضارات المختلفة كانوا أول من استخدم بصورة واسعة الوسائل النفسية . وقد شكل ذلك في حد ذاته نمواً جوهرياً له دلالته . فقد تدرب السيكولوجيون على استخدام الاختبارات الموضوعية ، والتجارب ، والوسائل الإسقاطية والتي قللت من اتجاهات الملاحظ والتي تحد من النتائج ، كما عرضوا النتائج بصورة كمية وقد نظر الأنثربولوجيون لذلك (التكميم) بصورة مختلفة إذ ذكر جوليان ستيوارد Julian Steward (١٩٥٠) «أن الأنماط الحضارية لا يمكن وصفها رياضياً» ، كما ذهبت بندكت (نقلاً عن لويس ١٩٥٣) إلى القول «إذا بدأت بالتكميم فلن تستمر في دراسة الحضارة طويلاً» ، كذلك ذكر جريجوري بتسون Gregory Bateson في رده على السيكلوجيين الذين يؤيدون التحليلات الإحصائية «يمكن أن يحاول فرد ما إجراء القياس بعلاقته بالمواقف المفترضة البسيطة ، وبالأنساق القيمية البسيطة من خلال مقياس واحد ، في حين أن فرداً آخر يتفادى كل هذه الأشياء التي نهتم بها» . وقد ذكر هنري وسبيرو Henry & Spiro (١٩٥٣) أن أسلوبهما في البحث الأنثربولوجي يهتم بدراسة الجماعات وخصائصها المنوالية كما لو كان الفرد غير موجود . إضافة إلى أنهما أيدا أيضاً الوسائل النفسية في العمل الميداني متخذين موقفاً مختلفاً ففي رأيهم أن دراسة العلاقة بين الشخصية والحضارة يتطلب شيئاً أبعد من الآراء الانطباعية عن خصائص الفرد ، وذهبا إلى ضرورة افتراض أساليب جديدة . وقد استعان الأنثربولوجيون بإسهامات علم النفس فوجدوا (وفقاً لرأي هنري وسبيرو) في الوسائل الإسقاطية عوناً كبيراً لهم .

وقد كان لأوسكار لويس Oscar lewis (١٩٥٣) نفس النظرة في مقالة له عن «الضوابط والتجريب في العمل الميداني» إذ أشار إلى أن الاتجاهات الحديثة تؤكد على مدى التباين في العادات والسلوك ، وعلى الضبط التام

LovePDFTULIP LAIBRAR

للتحيز القائم بالمقابلة، وعلى المعادلة الشخصية في وصف الشخصية. كما أكدا بوجه خاص على ما يقوم به السيكلوجيون من جهد من أجل المزيد من البيانات عن الفروق الفردية.

وقد أصبح السيكلوجيون على وعي وفهم بالأنثربولوجيا، فاستخدموا اكتشافها لتعديل وتحسين وصفهم للسلوك الإنساني. كما أن الأنثربولوجيين أخذوا ينتبهون لنقد السيكلوجيين، فشجعوا تطبيق وسائل علم النفس في ميدانهم. فقد قام ريفرز Rivers وهو سيكلوجي وأثنولوجي كذلك بدراسة خداع الأبصار في جزر تورس ستريتس Torres Straits (١٩٠١) وعند التوداس Todas بالهند (١٩٠٥) وأشار لبعض الفروق عبر الحضارية المثيرة. وقد كان لودورث Woodworth (١٩٠٥ - ١٩١٠) السبق في إحضار عدد من الناس من بلاد مختلفة في العالم في معرض سانت لويس St. Louis Exposition عام ١٩٠٤ ليدرس العلاقة بين مفردات اللون وقدرتهم على مماثلة الألوان فوجد أنه في معظم الحالات لم يكن هناك نقص خاص في إعطاء الشيء اسماً Nomenclature .

وقد حاولت مارجريت ميد (١٩٢٨) تطبيق اختبار الكرة والحقل في مقياس بينيه على أطفال الساموان Samoan فوجدت أنهم اهتموا بعمل رسم جميل أكثر من قيامهم بحل مشكلة كيف يجدون الكرة، كما أن بارتلت Bartlett (١٩٣٢) ونادل Nadel (١٩٣٧) أوضحا كيف أن الذاكرة تتأثر بالخلفية الحضارية في جماعات أفريقية مختلفة.

وفي عام ١٩٤٠ قام كثير من الأنثربولوجيين الشبان بكثير من الأعمال الميدانية مستخدمين اختبار بقع الحبر لورشاخ، وتفهم الموضوع لموري وعدداً من الوسائل الأكلينيكية إضافة إلى معلوماتهم الفردية. وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا مدربين التدريب الكافي فإن السيكلوجيين صاروا شيئاً فشيئاً يطبقون هذه الوسائل في الميدان سواء عندما كانوا يقومون بالتدريس في الجامعات الجديدة بالدول النامية، أو أنهم وجدوا التمويل لإجراء هذه

البحوث في تلك البلاد. وبذلك صاروا على وعي بالحضارة والحاجة لدراسة السلوك في سياقه الحضاري. وقد أصبح هذا الاتجاه هو السائد والهام فتحول كل الميدان لعلم نفس عبر حضاري (١٠١).

منهج المقارنات الثقافية والصعوبات التي يواجهها الباحث : ويعتمد منهج المقارنات الثقافية على الملاحظة والمعلومات المستمدة من الاخباريين ، وكثير من المقاييس كاختبارات الذكاء والشخصية ، ويعتمد هذا المنهج لتستخدم فيه الوثائق الجماعية للراشدين ، والفولكلور ، والأفلام ، والصحف الى جانب الاختبارات . ويقوم الباحث في هذا الاحوال بالكشف عن السلوك الاجتماعي والموضوعات التي تتكرر في الوثائق كالتمكاسات لحول واهتماماته الأفراد الذين يصدر عنهم هذا السلوك أو يتجون هذه المعلومات(٣) ولقد ذهب روكان ، وديبكر Dibbe عام ١٩٥٤ الى أن طرائق الدراسات الثقافية المقارنة تركز في ثلاث ثلاثة هي :

١ ـ دراسات الوثائق ، والتي تعتمد على التحليل المقارن للخصائص والعلاقات المتضمنة في السجلات .

٢ ـ الاحصائيات الحيوية ، والتي تقوم على التحليل المقارن للبيانات المختزنة في اجهزة الاحصاء والتي تسجل فيها الحقائق الاجتماعية المختلفة .

٣ ـ الدراسات الميدانية والعملية ، والتي تختص بتحليل البيانات المجموعة عن طريق الملاحظة والمقابلة وغيرها(٣) .

ويواجه الباحث الذي يستخدم منهج المقارنات الثقافية Cultural Comparative عدد الكثير من الصعوبات : (١) فيتطلب منه تعلم لغات المجتمعات التي يدرسها لان هذا المنهج يقتضي من الباحث اقامة علاقات حسنة مع افراد هذه المجتمعات حتى يتسنى له ان يجمع البيانات بدقة ولا يمكن ذلك بالطبع الا بإجادة لغات هذه المجتمعات حتى تسهل المعايشة الكاملة ، لكن ذلك على العموم ليس بالأمر اليسير على الباحث . (٢) كذلك فان جمع البيانات من أكثر من مجتمع يتطلب أكثر من باحث أي فريقاً من الباحثين يقومون في وقت واحد بجمع هذه البيانات حتى تتوفر في هذه البيانات شروط الضبط العلمي . (٣) كما أنه بالنسبة للأدوات التي يستخدمها الباحث لا بد ان يراعي أن تكون متماثلة في جميع المجتمعات التي يجري فيها البحث كأن يترجم الاختبار أو الاداة التي ستستعمل في أمريكا وفي البلاد العربية الى العربية وتتم مراجعته من حيث اللغة والمواقف في البلاد العربية . (٤) كذلك لا بد من أن تماثل العينات من حيث الجنس والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي الا أن هذه الصعوبة لا يستطيع الباحث في هذا المنهج التغلب أو السيطرة عليها . (٥) كما أنه عند تفسير النتائج لا بد وان يراعي في الاختبار مشكلة المعنى بمضمونه العام حيث أن الفعل الواحد قد يحمل معنى إلى مجتمع يختلف عن المعنى الذي يحمله في مجتمع آخر . فرغم الاتهام متفق في مجتمع قد يعبر عن الاحترام في أحد المجتمعات ولا يعبر عنها في مجتمع آخر .

ولقد لاحظ كاهلان عندما أنه عند تطبيق اختبار تفهم الموضوع T.A.T. على مجموعات من العمال الزراعيين في تايلاند أن استجاباتهم تؤكد أنهم لم يكونوا يقولون قصصاً على الإطلاق إنما كانوا يصفون الصورة ويذكرون ما بها من أحداث . ولقد ذهب كاهلان إلى أنه لا يمكن أن نستنتج أن شعب تايلاند يفتقر إلى الخيال ، إنما يمكن القول بأن هذا الاختبار لا يستثير لديهم القدرة على التخيل ، الا ان هذا الكلام لا يمكن تعميمه لوجود عوامل ثقافية متوفرة(٣) .